بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الأردنية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

النظم القرآني في سورة البقرة
(دراسة في الدلالة والأسلوب)

إعداد
حسين أحمد علي الدراويش

إشراف
الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي

(قدمت هذه الرسالة تحقيقاً لمتطلبات درجة الدكتوراة في قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب في الجامعة الأردنية)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــــــداء

إلى سيدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء القائل : (مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُوِّجَ بِهَا تَاجًا فِي الْجَنَّةِ)(١) ، راجيًا أن يكون شفيعي يوم القيامة .

---

(١) أنظر: سنن الدارمي / ج٢/ ص ٤٤٧ وهو حديث صحيح .
وانظر: الجامع الصغير للسيوطي /ج٢/ص ١٧٨ .
ووردت روايته بصورة أخرى في " فيض القدير شرح الجامع الصغير " للمناوي /ج٢/ص ١٩٧ هي : (مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الْبَقَرَةِ تُوِّجَ بِتَاجٍ فِي الْجَنَّةِ) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة في يوم الاثنين ٢٩ من شهر ذو القعدة من سنة ١٤٠٦ للهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم الموافق ٤ من شهر آب من سنة ١٩٨٦ للميلاد ، وأجيزت بالتاريخ ذاته .

تواقيع أعضاء اللجنة المناقشة :-

المشرف :

الأستاذ الدكتور/ ابراهيم السامرائي

التوقيع

المناقش الأول :

الأستاذ الدكتور/ عبد الكريم خليفة

المناقش الثاني :

الأستاذ الدكتور/ فضل حسن عباس

الدكتور
فضل حسن عباس
وكّل بالتوقيع عنه
الدكتور
فضل حسن عباس

المناقش الثالث :

الأستاذ الدكتور/ صبحي الصالح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــــة

- حمدٌ وثنـــاءٌ وصـلاةٌ علـى الرســـــــول صلى اللـــه عليـــه وسلـــــــم.
- ميـــــلاد فكـــرة هـــذا الموضـــوع.
- مـــن أسبـــــاب اختيـــــــاره.
- مـا اعترضتـــــــه مـن صعوبـــــات.
- خطـــــــــة بحثـــــــــه.
- تفسيـــــــر العنوان فـي ضوء الخطـــة.
- منهـج كتابـة هـــــذا الموضـــــوع.
- فهارســـــــــــــــــــه.
- مصـــــــــادره ومراجعـــــــه.
- شكـــــــــر وامتنـــــــــان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــــــــة

الحمد لله الذي يسّر لنا سبل التدبر في أسرار بلاغة نظم كتابه الكريم، وأظهر لنا من الدلائل البينات على أسرار إعجاز كلامه المبين ، والصـــــلاة والسلام على رسوله الأمين ، محمد بن عبدالله وآله وصحبه ومن تبعـــه ووالاه بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وبعـــد ، فإنّ حلاوة القرآن الكريم لهي التي ولّدت التفكير فـــي هذا الموضوع ، فقد دفعني جمال النص القرآني منذ الطفولة إلى التفكر فـــي نظمه المعجز ، ولازمني هذا التفكر مدةً غير قصيرةٍ من عمري ، ولمّـــا حانت لي الفرصة في البحث عن موضوع أتقدم به إلى قسم اللغة العربيـــة ، بكلية الآداب ، في الجامعة الأردنية ، لنيل درجة الدكتوراة فـــي الآداب ، وقع اختياري على هذا الموضوع " النظم القرآني في سورة البقرة " ، وهكـــذا وجدت نفسي وجهًا لوجهٍ أمام هذا الموضوع ، وألفيت أسبابًا أخرى غيـــر الرغبة الشخصية تدفعني إلى الشروع فيه منها :

أولاً :

عظيم أهمية علـــم البلاغة من الأدب ، فإذا كنّا نعلم أن علم الأدب " هو معرفة ما يحترز به عن جميع وجوه الخطأ في العربية "(١) ، فإنّ أنواعًا كثيرةً من العلوم تندرج تحـــت علـــــم الأدب ، تتفاوت من حيث الأهمية ، منها علم البلاغة ، "وهو أشرف أنواع الأدب قدرًا ، وأعلاهـــا مكانةً وخطرًا ، لأنّه علم الاستخراج لأسرار البلاغة من معادنها ، والكشف عـــن محاسن النكت المودعة في مكامنها ، الذي هو منتقد قوى البصائر ، ومسبـــار غور الفهم والخاطر ، ومضمار ما يقع به التفاضل ، وينعقد بين الأماثل فـــي شأنه التسابق والتناضل ، والذي إذا حذقت فيه أطلعك على إعجاز نظم القرآن، و على خبـــاء انصبابه في تلك القواليب ، وورودة على تلك المناهـــــج والأساليب ، وأقدرك في نسج حبير الكلام ، على ما يشهد لك من البلاغـــة بالقِدْح المُعَلّى ، وأنّ لك في إبداع وشيها اليد الطولـــى"(٢) .

ثانيًا :

عظيم أهمية النظم من البلاغة والإعجاز فهو " علم شريف المحل ، عظيم المكان ، قليل الطلاب ، ضعيف الأصحاب ، ليست له عشيرةٌ تحميه ،ولا ذو بصيرةٍ تستقصيه ، وهذا أدق من الشعر ، وأهول من البحر ، وأعجب من السحـــر، وكيف لا يكون ؟! وهو المطلع على أسرار القرآن العظيم ، الكافل بإبـــداء إعجاز النظم المبين ، ما أودع من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، ومـــا

(١) المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ص ٣ .
(٢) المصدر ذاته ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَضَمَّنَهُ في الحلاوة ، وجلّله في رونق الطلاوة "[1] ، ويجمع العلماء القُدَماء والمُحدثون على هذا الرأي وقلّما تجد من يخالفه .

ثالثًا :

عَدَمُ وجود أية دراسةٍ جامعيةٍ سابقةٍ في "النظم القرآني في سورة البقرة" ، مما دفعني إلى هذه الدراسة ؛ لجدتها ، وندرتها وطرافتها[2] .

رابعًا :

طعن الطاعنين في نظم القرآن العظيم ؛ مما يقتضي إظهار جمال نظمه المبين ، للذب عن هذا الكتاب الكريم[3] .

خامسًا :

تقوّل المتقوّلين على البلاغة العربية وعلى النحو العربي ، مما يتطلب الرد على هؤلاء المتقوّلين ، والكشف عن الغاية الحقيقية من وراء تقوّلهم على هذين الركنين الركينين من علوم العربية[4] .

سادسًا :

أهمية القرآن الكريم في الدراسات اللغوية والبلاغية ؛ فهو الأصل الأول من أصول العربية ، لتواتره ، وبلاغته ، وصحته ، وإعجازه ، ولقد ألفيت علماء العربية السابقين واللاحقين يجمعون على تأصيل العربية على أساسٍ منه ، ويعقدون بحوثهم حول نصّه الكريم[5] .

---

(١) البرهان ، ج٢/ ص ٣٨٢ .

(٢) أنظر : "النظم القرآني في سورة الرعد" حيث يقول محمد بن سعد الدبل في ص ٥٧ : "ولم يفصل أحدٌ من هؤلاء الأعلام القول بالإعجاز بالنظم في سورةٍ بعينها" .

(٣) من الطاعنين في نظم القرآن الكريم ذلك المسمى باسم (الأستاذ الحداد) في كتابه "القرآن دعوة نصرانية" الذي صدر في سلسلة "في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي" دون ذكرٍ لمكان وزمان طباعته حيث يقول في ص ٥٧ : "إن أسلوب النظم القرآني أسلوب (نصراني) تعلمه محمد- صلى الله عليه وسلم - لدى أساتذته خصوصًا لدى قس مكة ورقة بن نوفل" . ما بين الشرطتين مدخل على النص اقتضى المقام ادخاله .

(٤) ملحوظة : سنفصل القول في هذه القضية في الباب الأول وفي نهاية الباب الثاني نظرًا لأهمية كشف عواقبها الخطيرة على القرآن الكريم وعلى العربية بلاغةً ونَحْوًا .

(٥) يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما ورد عند الترمذي في صحيحه بشرح ابن العربي المالكي في ج١١/ص ٤٧/ في باب فضائل القرآن : (فَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سابعًا :

عظيم مكانة سورة البقرة من القرآن الكريم ؛ فهي كما يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (فُسْطَاطُ الْقُرْآنِ)[1] ؛ أي : مدينته الجامعة .

ثامنًا :

ضرورة إحياء البحث العلمي من جديد في البلاغة العربية ؛ للنهوض بها مما هي فيه ، ولتوظيفها توظيفًا عمليًا في فهم آي الذكر الحكيم ، ونصوص العربية ، بالعودة إلى آثار الأئمة الكبار من علماء البلاغة ، من أمثال عبدالقاهر الجرجاني ، لاقتفاء آثارهم في الدراسات البلاغية[2] .

انطلاقًا من الأسباب السابقة التي دفعتني إلى اختيار هذا البحث حاولت قدر استطاعتي عدم تجاوزه ، رغم الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة ، والتي أستطيع أن أجملها في ثلاث مشكلات ، هي :

أولاً : مشكلة تحديد موضوع الدراسة .
ثانيًا : مشكلة اختيار منهجها .
ثالثًا : مشكلة اختيار شواهدها .

---

(١) ورد هذا الحديث عند الدارمي في سننه ج٢/ص ٤٤٦ ، ونص الحديث كاملاً : (سُوْرَةُ الْبَقَرَةِ بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ وَهِيَ فُسْطَاطُ الْقُرْآنِ) .

(٢) ملحوظة : يتفق هذا الرأي وآراء معظم الباحثين المحدثين حيث يقول د. رشيد الضعيف في مقال له عنوانه :" عبدالقاهر الجرجاني في البلاغة وعلم البلاغة " : مجلة الفكر العربي / ع ٢٦/سنة ١٩٨٢ م/من ص ١١٦ - ١٢٨ / يقول في ص ١٢٧ :"لقد بات من الملح الخروج عن بلاغة القزويني ، وبلاغة الكتب المدرسية التي نسخت عنه ، ولا يتم ذلك إلا بالخروج عليها ، وبعض الخروج عليها ، يكون بالاسترشاد بأئمة علماء البلاغة الخلاقين" ؛

ويقصد بالخلاقين عبدالقاهر الجرجاني .

ويقول علي العماري في مقال له/عنوانه "في البلاغة" نشر في مجلة الأزهر المجلد ٢٦ سنة ١٣٧٤ هـ / من ص ٨٧٢ - ٨٧٦ ، يقول في الصفحة ٨٧٢ :

" ولعلّ علوم البلاغة أشد حاجةً للبحث والدرس والتجديد من علمي اللغة والنحو ، ذلك أنّ المتقدمين عنوا بالنحو واللغة أكثر مما عنوا بعلوم البيان ، ووجد المتأخرون مجال البحث ممهدًا ، فأكثروا من التأليف في هذين العلمين وخاصة علم النحو ، أما علوم البلاغة فسبيل البحث فيها وعر شائك ، وليس في استطاعة كل من تحدثه نفسه أن يقول في البيان قولاً ، لأن هذه الناحية من الدرس لا تحتاج إلى التحصيل وحده ، وإنما تعتمد إلى حدٍ كبير على ذوقٍ سليمٍ وطبعٍ مُسعِفٍ " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا المشكلة الأولى ، وهي مشكلة تحديد موضوع الدراسة :

فقد كانت من أشق هذه المشكلات وأكثرها صعوبةً ، وصعوبتها تعود إلى عدّةِ أسبابٍ منها :

١- غموض النظم ، فالنظم يمتاز بالغموض ، حتى خفي على الفيلسوف الكندي(١) .

٢- تشعب مسائل النظم وتشابكها ؛ فهي مسائل عديدة ، مبثوثة في مصادر متنوعة ، وتخريجها بحاجةٍ إلى جهدٍ جهيدٍ ، وصبرٍ شديدٍ .

٣- دقة مباحث النظم ؛ فالنظم مبحثٌ بلاغيٌّ دقيق المسلك ؛ لارتباطه بأصول علم المعاني ؛ فدراسته بحاجةٍ إلى دقةٍ وتأنٍ(٢) .

٤- عدم وجود أي مثالٍ عند أي باحثٍ سابقٍ في سورة البقرة ، حتى يتخذ نموذجًا يحتذى في تحديد موضوع هذه الدراسة .

لذا بذلت في سبيل تحديد ملامح هذه الدراسة أقصى جهدٍ استطعته ، وسلكت في سبيل ذلك أدقّ مسلكٍ تصورته ، لأصل إلى الهدف الذي قصدته من هذا البحث ، وهو الكشف عن أسرار الإعجاز النظمي في هذه السورة الكريمة ، فبدأت بتحديد موضوع هذا البحث . ولما شرعت في ذلك كان أمامي خمسة احتمالاتٍ لتحديد معالم هذه الدراسة :

أولها : أن أسلك نهج المفسرين .

ثانيها : أن أقتفي آثار البلاغيين .

وثالثها : أن أسير على سبيل النحويين .

ورابعها : أن أنهج نهج اللغويين .

وخامسها : أن آخذ بهذه المناهج مجتمعةً .

وكان لكل احتمالٍ من هذه الاحتمالات ما يجذبني إليه ويبعدني عنه في آنٍ واحدٍ .

فالاحتمال الأول وهو مسلك المفسّرين يغري الباحث بتتبع القضايا البلاغية في كتبهم ، وتخريجها ، لحصر وجهات نظرهم في المسائل النظمية ، وهي وجهات نظرٍ ثريةٍ ، ولكن تقصيها بهذه الكيفية ، سوف يجعل هذه الدراسة تصنّف في باب التفسير ؛ وإن كان هذا الأمر من هذه الجهة لا يشينها ، لكنّه يعيبها من جهةٍ أخرى من حيث خروجها عن دائرة البحث التي رُسِمَتْ لها ، وعند هذا الخروج؛ تكون قد خالفت موضوعها الذي حُدِّدَ لها .

---

(١) أنظر هذه القصة بتمامها في غموض النظم على الكندي في دلائل الإعجاز في علم المعاني /ص ٢٠٦ وسنوردها في باب التوكيد في مبحث بيان أهمية التوكيد ص ٤٢ .

(٢) أنظر الجرجاني في الدلائل في فصل " في النظم يتحد في الوضع ويدق في الصنع " من ص ٦٤ - ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيما يتعلق بالاحتمال الثاني وهو طريق البلاغيين ، فقد وجدت أن البلاغة على وجه العموم ، وإن كانت تمد الباحث بمقياسٍ ذهنيٍ في غايةٍ من الروعة والاتساق ، في الكشفعن جوانب الإعجاز النظمي في هذه السورة ، إلاّ أنّ السير على طريق البلاغيين ، من غير تحديدٍ لموقع النظم من البلاغة ، سيجعل هذه الدراسة في النهاية مجرد دراسةٍ بلاغيةٍ عامةٍ ، تنافي حقيقة النظم الذي هو فرع من أفرع البلاغة أكثر تحديداً من البلاغة بمجموعها ، فهو على وجه التخصيص (علم المعاني) كما استقرّ في عرف البلاغيين اللاحقين ؛ لذا انثنيت عن هذه الطريق .

وبالنسبة إلى الاحتمال الثالث (سبيل النحويين) ، فإني ألفيت أن النحو يختص بدراسة التراكيب ، وأن النظم كما يقول عبدالقاهر الجرجاني: ما هو إلاّ " توخي معاني النحو"(1) ، لذا فإنّ النحو والنظم عند الجرجاني يلتقيان في دراسة التراكيب ، وهذا الإلتقاء ، كان من أقوى المشجعات التي تدفعني إلى أن أبدأ بدراستي هذه دراسةً نحْويةً ، ثم أرصد القضايا البلاغية المتولدة من دراسة التراكيب النحوية ، وسترت في هذا المضمار شوطًا غير قصيرٍ ، ولكني لماّ وقفت أقوّم عملي ، وأعيد النظر في خطتي، وجدت أنّي جانبت وجه الصحة ؛ ذلك لأنّ علمي النحو والنظم وإن كانا يلتقيان في دراسة التراكيب كما يقول عبدالقاهر الجرجاني ، إلاّ أنهما يفترقان في الغاية من دراسة هذه التراكيب ، كما ظهر لي عند البلاغيين اللاحقين بعبد القاهر الجرجاني ، وخصوصًا عند السكاكي ، ففاية النحو عند المتأخرين كما تنم عن ذلك كتبهم دراسة التراكيب من حيث الصحة والفساد، وغاية النظم (علم المعاني) عندهم كما يستشف من حديثهم في مصادرهم، دراسة التراكيب من حيث الحسن والقبح ، وهكذا يظهر لنا من مجمل أقوالهم أن غاية النحو تسديديةٌ تصويبيةٌ بحتةٌ ، وغاية النظم عقليةٌ نفسيةٌ محضةٌ .

ولما بان لي الفرق بين هذين العلمين ، وجدت أن الدراسة النحوية المجردة ، سوف تحرمني من ثمرات التذوق النفسي لجمال النص القرآني ، الذي يسعفني فيه علم النظم ،فأعرضت عن هذه السبيل .

وبخصوص الاحتمال الرابع وهو (نهج اللغويين) ، فان للّغويين دراساتٍ لغويةً كثيرةً تتصل بالنظم القرآني ، ولا تخلو هذه الدراسات من فوائد تسعف في تتبع مسائل النظم في سورة البقرة ، وهذه الصفة تجعل الباحث يشد إلى هذه الدراسة ، ويتعلق بها ، ففكرت بالسير على نهجها ،

(1) تكرّر حديث الجرجاني في الدلائل كثيرًا عن علاقة النحو بالنظم وتكرّر قوله: أن النظم ما هو إلا توخي معاني النحو ، ولقد أفرد لتوضيح هذه العلاقة بين النظم والنحو فصلاً سماه : " في أن النظم متوقف على التركيب النحوي " من ص ٣٨ - ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما إنْ توغلت قليلاً في هذا المنهج ، حتى اتضح لي أن السير على هذا المنهج اللغوي المحض في هذه الدراسة ، سيجعلها في آخر الأمر مجرد دراسةٍ وصفيةٍ ، لا تمت بصلة إلى موضوعها ؛ مما يبعدها عن الخط الذي رُسِمَ لها ، فانثنيت عن هذه الدراسة .

وبصدد الاحتمال الخامس والأخير (المزج بين هذه المناهج) ، فقد رأيت أن هذا الاحتمال وإنْ كان يجمع حسنات المذاهب السابقة ، إلاّ أنّه من الصعب الجمع بين هذه المناهج المختلفة في تحديد هذه الدراسة ، ذلك لأنّ هذا الجمع يشتتها عن قصدها لاختلاف غايات تلك المناهج ، وهذا الاختلاف سينعكس على هذه الدراسة ممّا سيجعلها في نهاية المطاف شذراتٍ متناثرةٍ ، لا جدوى منها ؛ لذا تركت هذه المناهج ، فلم أُسِرْ على واحدٍ منها ، ولا على مجموعها ؛ لأنّني أدركت أنّها سُبُلٌ أفترق معها في النتائج ، وإن كنت أتفق معها في المقدمات ، وأشترك معها في الموضوعات .

هكذا وقفت في تحديد موضوع هذه الدراسة حائرًا على مفترق طرقٍ كثيرةٍ ، متفكرًا عدّة شهورٍ في أيسر السبل التي سأسلكها في تحديد هذه الدراسة ، وأخذ مني العناء كلّ مأخذٍ في ترجيح أحد الاحتمالات على الآخر ، وكانت الأسئلة التي تواجهني ولا أجد لها جوابًا هي :

من أين أبدأ في دراسة هذا الموضوع ؟
وكيف سأواصل السير فيه ؟
وإلى أين سأنتهي به ؟

وكنت أراجع مشرفي الفاضل بين الفينة والفينة ، أسترشده ، فيشجعني ، ويسدّد خطاي ، وأحاوره فيما استغلق في وجهي ، فيكشف لي عنه ، ولما ضاقت بي السبل ، وبدا لي أنّ الموضوع لا يكاد يبين ، استخرت الله - تعالى - في الأمر ، فكانت الإشارة إليّ بالتوجه الى أستاذي السابق في مرحلة الماجستير ، الدكتور عبدالكريم خليفة ، فاستشرته في السبيل الموصل إلى هذا الموضوع فأرشدني إلى ذلك الشيخ النحرير ، علم الإعجاز القرآني والتفسير في كلية الشريعة (الدكتور فضل حسن عباس) الذي أقرّ له بالفضل في مساعدتي على رسم معالم هذا الموضوع في ذهني ، حيث أشار علي بالالتزام بمنهج عبد القاهر الجرجاني في معالجة هذا الموضوع قدر المستطاع ؛ ذلك لأن الخطة بُنيت أصلاً على هذا الأساس ، ولذا يجب أن يتم البناء حسب المخطط الذي حُدِّدَ له ، وبغير السير على منهج ذلك العالم الجرجاني لا يستطاع المضي في هذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع ، وعند مراجعة عملي ، ظهر لي بوجهٍ يقيني سداد رأي هذا الشيخ الفاضل (فضل)، ومتانة منهج ذلك الشيخ الجليل (عبدالقاهر) ، وهكذا ترسّمت خطى عبد القاهر في تحديد موضوع هذا البحث ، وفي معالجته ، غير حاجرٍ على نفسي الاجتهاد في المنهج ، والاستفادة من جهود البلاغيين اللاحقين بعبدالقاهر الجرجاني .

المشكلة الثانية (مشكلة اختيار منهج الدراسة) :

ولما بانت لي الخطوط الأولى لهذا الموضوع ، واتضحت صورته ، وسرت فيه قدمًا مجتازًا المشكلة الأولى في تحديد موضوعه ، برزت لي مشكلةٌ ثانيةٌ جديدةٌ ، هي : (طبيعة المنهج الذي سأسلكه في تقصي وتنظيم مباحث النظم في سورة البقرة) . وكان أمامي هذه المرة احتمالان اثنان لا ثالث لهما ، ولكل منهما ما يسوّغه ويجعله مقبولاً في النفس .

الاحتمال الأول :

أن أسير على منهج عبدالقاهر الجرجاني ومن تبعه في تقسيم موضوعات هذا البحث،فأتحدث عن الإسناد الخبري ، والمسند إليه ، والمسند ، وعن متعلقات الفعل ، وعن مباحث الجملة الطلبية ، وعن القصر ، والفصل والوصل، فأجعل لكل مبحثٍ من هذه المباحث فصلاً خاصًا به ، فمثلاً : أعقد بابًا للحذف ، فأتحدث فيه عن حذف المسند إليه ، والمسند ، ومتعلقات الفعل ، فأجمع الأغراض النظمية في موضوعٍ واحدٍ ، وكذلك في التقديم والتأخير وغيره من مباحث البلاغة .

الاحتمال الثاني:

أن أسير على منهج السكاكي فأتحدث مثلاً في المسند إليه : عن حذفه ، وذكره ، وتقديمه ، وتأخيره ، وتعريفه ، وتنكيره ، وهكذا بالنسبة إلى المسند ، ومتعلقات الفعل ، فأوزع هذه المباحث النظمية على أماكن متعددةٍ في فصول متفرقةٍ .

هكذا وقفت حائرًا مرةً ثانيةً أمام هذه المشكلة الثانية ، وكنت مترددًا بين سلوك أحد المنهجين : أألتزم بمنهج عبدالقاهر الجرجاني في حصر مباحث النظم في هذه السورة ؟ أم أخرج عن هذا المنهج وألتزم بمنهج السكاكي في بحث هذا الموضوع ؟ .

ولكل منهما من الخصائص ما يغري بالسير عليه ، وبعد إنعام النظر في حقيقة المنهجين ، وجدت أنهما وإن كانا يتفقان في قسمة الكلام الى خبرٍ وإنشاءٍ ، إلاّ أنّ لكلّ منهما خصائصه المميّزة له ، فالمنهج الثاني (منهج السكاكي) وإن كان أدق من حيث التقسيم العقلي ، إلاّ أنّه أشقّ في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدراسة ، لأنه يوزع الأغراض البلاغية في أماكن متفرقة . أمّا المنهج الأول (منهج الجرجاني) فهو وإن كان شاقًا كذلك ، إلا أنّه يجمع الأغراض البلاغية في مكانٍ واحدٍ ، مما يسهل على القارئ أمر الرجوع إليها وأخذ صورةٍ واضحةٍ عنها ، لذا سلكت هذا المنهج (منهج الجرجاني) متخطيًا بذلك المشكلة الثانية من مشاكل هذا البحث .

المشكلة الثالثة (مشكلة انتقاء شواهد الدراسة) :

وحينما حُلّت المشكلة الثانية (مشكلة اختيار المنهج) ، ظهرت لي مشكلةٌ ثالثةٌ ، هي كيفية انتقاء مادة هذه الدراسة ، وكان أمامي أيضًا في هذه المرة اختياران اثنان لا ثالث لهما :

الاختيار الأول :

أن أورد جميع الشواهد في سورة البقرة التي تدور حول الظاهرة البلاغية المدروسة ، وأثبتها في فصول الدراسة ، فمثلاً ، في حذف المسند : أذكر جميع المواطن التي حُذِفَ فيها المسند في سورة البقرة ، وأثبتها جميعها ، وهكذا بالنسبة إلى بقية المواد .

الاختيار الثاني :

أنْ أكتفيَ بإيراد الشواهد على قدر الأغراض البلاغية التي وردت لها ، فمثلاً ، في حذف المسند : أورد آيةً أو أكثر تظهر فيها أسباب حذف المسند ظهورًا واضحًا .

وكان لكل اختيار من هذين الاختيارين إيجابيات وسلبيات ، فمن إيجابيات الأول : الشمول حيث يجمع كل الشواهد ويوردها في الدراسة ، ومن سلبياته : توسيع الدراسة حتى تصبح دراسةً إحصائيةً مما يقلل من ترابطها وانسجامها . ومن إيجابيات الثاني التيسير والتسهيل حيث يقلل من الشواهد ويوردها على قدر الأغراض البلاغية موجزةً ، ومن سلبياته : قلة الشواهد ، مما يفقدها عنصر الثراء الذي يتحقق في الاختيار الأول .

هكذا توقفت للمرة الثالثة أمام هذين الاختيارين مترددًا في أيهما سأمضي ، فآثرت الجمع بين محاسنهما ، فسرت على التمثيل للظاهرة البلاغية بما يفيها من الشواهد مع إثبات الفروق والزيادات قدر الإمكان في الهوامش ، لفائدة هذه الإحصائيات لمن شاء أن يستزيد . وبذا تخطّيت بعون الله - تعالى - هذه المشكلات الثلاث واضعًا خطة البحث وملتزمًا بها على النحو التالي :

اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن يقع في مقدمةٍ وثلاثة أبوابٍ وخاتمةٍ ، أما المقدمة ، التي بين يديّ الآن فقد أودعتها الكلام على : ميلاد فكرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الموضوع ، وعلى أسباب اختياره ، وعلى ما اعترضته من صعوباتٍ ، وعلى خطة بحثه ، وعلى تفسير عنوانه في ضوء خطته ، وعلى ملامح منهج كتابته[1] ، وعلى فهارسه ، وعلى مصادره ومراجعه ، خاتمًا هذه المقدمة بشكر من أعانني على إتمامه . وأفردت الباب الأول: (لتاريخ النظم) فتحدثت في هذا الباب عن : تعريف النظم لغةً واصطلاحًا ، مع الإشارة إلى صاحب النظم وما وُجِّه إليه من افتراءاتٍ ذابًا عنه ، ثم قمت بتصنيف الدراسات السابقة في النظم في أربع مجموعاتٍ ، ثم قوّمت هذه الدراسات ، وتقصّيت إيحاءات النظم قبل الجرجاني عند ما يقرب من عشرين عالمًا سبقوا الجرجاني ، ثم بيّنت كيفية اكتمال موضوعات النظم على يد الجرجاني ، ثم تتبعت امتداد آثاره بعد الجرجاني أيضًا عند ما يقرب من عشرين عالمًا ، ثم أظهرت كيف تطوّر النظم ليصبح (عِلْمَ الْمَعَانِي) ، ثمّ كشفت عن أهمية النظم ، ووضّحت صلته بغيره من علوم العربية ، متناولاً قسمة الكلام إلى خبرٍ وإنشاءٍ ، مبيّنًا مناهج البحث في النظم ، مختطًا لنفسي منهجًا خاصًا في معالجة النظم القرآني في هذه السورة ،خاتمًا بذلك الباب الأول .

وعقدت الباب الثاني: (لعناصر النظم القرآني في سورة البقرة) فعرضت لدراسة إثني عشر أسلوبًا بلاغيًا في هذه السورة الشريفة هي:(التوكيد، والتعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير ، والحذف ، والقصر ، والأمر، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء ، والفصل والوصل ، والتكرار).

وجعلت الباب الثالث: (لجوانب الإعجاز النظمي في سورة البقرة) معالجًا في هذا الباب هذه النقاط :(رصد أظهر المعاني في الأساليب المدروسة في الباب الثاني ، محللاً دلالات بعض تلك الأساليب على بعض معانيها ، ذاكرًا أهم الفوائد التي جنيتها من دراسة النظم القرآني في سورة البقرة ، مشخصًا النظم تشخيصًا يظهره وجهًا بارزًا من أشهر وأعم أوجه الإعجاز القرآني، موجهًا الأنظار إلى التفكر والتأمل والبحث في هذا النظم العظيم) .

ثم ختمت هذه الرسالة بخاتمةٍ أودعتها ذكر (لمحةٍ موجزةٍ عن هذا الموضوع ، موضحًا خطته ، ومجملاً أبرز نتائجه ، ومظهرًا أهم التوصيات التي تراءت لي ضرورية من دراسته .

وهكذا فإنّ عنوان هذه الرسالة يعني على وجه التحديد دراسة عينة[2] من المباحث الإعجازية التي تتصل بعلم المعاني كما عالجها عبدالقاهر الجرجاني،وكما استقرت عند العلماء الذين جاءوا بعده،واقتفوا أثره،

---

(١) ملحوظة : سنفصل الحديث عن منهج البحث في هذا الموضوع في نهاية الباب الأول تحت عنوان (منهج تطبيق النظم في سورة البقرة) .

(٢) هذه العينة هي الإثنا عشر أسلوبًا المدروسة في الباب الثاني التطبيقي (من عناصر النظم القرآني في سورة البقرة) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أمثال السكاكي والقزويني وغيرهما ، مخرجةً شواهدها القرآنية من هذه السورة، ومرتبةً على قدر الأغراض البلاغية التي جاءت من أجلها ، ولقد التزمت بهذا المفهوم لهذا العنوان في هذه الرسالة التزامًا دقيقًا في دراستي هذه ، ويعلم الله - تعالى - أن هذا الإلتزام كان من أشق الأمور على نفسي ، ذلك لأن هنالك معلوماتٍ قليلةً تتصل بالموضوع ، وتوجد في كتب البلاغة الكثيرة ، وتقصيها بحاجةٍ إلى نصبٍ ، وصبرٍ ، ودقةٍ ، وتفكرٍ ، وتأنٍ ، هذا من جهة ، ومن جهةٍ أخرى فإن كتب البلاغة التي صنّفت في هذا الفن كانت كتبًا عامةً ، وعند مؤلفيها سَعَةٌ من حيث مادة الدراسة ، ممّا كان ييسّر عليهم أمر التصنيف والتأليف ، أما بحثنا هذا فهو أكثر تحديدًا من تلك المباحث ، سواءٌ في الموضوع (علم المعاني) أو في المادة : وهي (شواهد سورة البقرة) لذا كنت حريصًا على الإلتزام بحدود عنواني وخطتي ، ولم أتوغل بعيدًا في مباحث البلاغة الواسعة حتى لا أدخل على البحث ما ليس منه ، فينأى عن موضوعه الذي رُسِم له .

* وكان من منهجي في الباب الأول: (تعريف النظم ، وتبيان أهميته ، وتصنيف مصادره ومراجعه ، ودراسته دراسةً تقويميةً تحليليةً تقوم على توجيهه الوجهة اللائقة به ، ثم تتبعت إيحاءات النظم عند عشرين عالمًا من الذين سبقوا الجرجاني ، مبينًا علاقة ذلك بالجرجاني ، ووضّحت اكتمال النظم عند الجرجاني ، ثم تقصّيت امتداده بعد الجرجاني ، وعلاقته به) .

وفي الباب الثاني سِرْتُ على المنهج التالي :-

أولاً : بدأت في مطلع كل مبحثٍ من المباحث الواردة في الخطة السابقة بتعريف الموضوع المدروس تعريفًا لغويًا معتمدًا على معاجم اللغة ، ثمّ أردفت هذا التعريف بتعريف الموضوع تعريفًا اصطلاحيًا، كما ورد في كتب البلاغة لتحديد معالمه .

ثانيًا : بيّنت أهمية كل مبحثٍ درسته على حدةٍ، لإبراز قيمته في مجال البحث البلاغي .

ثالثًا : قسّمت كل موضوع درسته إلى عناصره المكوّنة له، قسمةً فنيةً أساسها علم البلاغة، في مباحث الخبر والإنشاء، كما هو واردٌ في الخطة .

رابعًا : بيّنت الأغراض البلاغية التي وردت هذه الموضوعات لأجلها، على هذه الشاكلة ، في سورة البقرة .

خامسًا : وكان منهجي في هذا الباب الوقوف التام ضمن حدود سورة البقرة، فكانت جميع شواهدي منها، ولم أخرج عن هذه السورة إلى غيرها من

---

* ملحوظة : أنظر نهاية الباب الأول ، مبحث (منهج تطبيقه - أي النظم - في سورة البقرة) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سور القرآن الكريم إلاّ في حالاتٍ خاصةٍ نادرةٍ، وهي إذا انعدم الشاهد من سورة البقرة على الغرض البلاغي المتسق مع المنهج، ويعوز المقام ذكره ، فكنت أورد له شاهده من القرآن الكريم، من غير سورة البقرة، حتى تتسق الدراسة، ولا ينثلم منهجها، ولكن بحذرٍ شديدٍ ، وانتقاءٍ سديدٍ .

وسلكت في الباب الثالث المنهج التحليلي، محاولاً الوقوف على دقة النظم القرآني في سورة البقرة ، من خلال إعادة رصد أظهر المعاني في الأساليب المدروسة في الباب الثاني ، وتحليل دلالات بعض الأساليب على بعض معانيها ، ذاكرًا أهم الفوائد التي جنيتها من دراسة النظم القرآني في سورة البقرة ، مشيرًا إلى أن النظم وجهٌ من أشهر وأعم أوجه الإعجاز القرآني ، لافتًا الأنظار إلى التفكر والتأمل والبحث في هذا النظم العظيم، وملتزمًا نظم سورة البقرة التزامًا تامًا إلاّ في حالات المقارنات التي كانت تحتم الاستشهاد بآي الذكر الحكيم، من غير سورة البقرة .

وَبَدَهِيٌّ أن يحتاج هذا البحث إلى فهارس توضّحه ، ولذا زودّته بخمسة فهارس هي :

١- فهرس المصادر والمراجع والمقالات والمحاضرات .
٢- فهرس الآيات القرآنية الكريمة والألوان البلاغية .
٣- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
٤- الفهرس التاريخي لتطور مصطلح النظم .
٥- فهرس الموضوعات .

وأثبت هذه الفهارس في آخر البحث .

وَطَبَعِيٌّ أيضًا أن تتشعب مصادر هذا البحث ، وتتسع مراجعه، قدر تشعب موضوعاته واتساعها .

فكان أولها القرآن الكريم ، حيث كانت آيات سورة البقرة، هي المادة الأولى التي قامت عليها هذه الدراسة، دون غيرها من سور القرآن الكريم .

ثم تليه مجموعةٌ من المصادر من كتب البلاغة ، وعلوم القرآن ، والتفسير واللغة ، والنحو ، وغيرها ، وهي موزعةٌ حسب مواضعها من البحث ، إضافةً إلى ما احتجنا إليه في تكميل هذه الدراسة من مراجع متعددةٍ ، ومن مقالاتٍ في المجلات وغيرها ، مما تضمّنه فهرس المصادر في ختام الرسالة .

وكان لا يخلو الرجوع إلى هذه المصادر والمراجع والمقالات من عناءٍ غير قليلٍ ، ذلك لأنّ مباحث هذه الرسالة هي مسائل موزعةٌ في مواطن متفرقةٍ من هذه الكتب ، والعودة إليها بحاجةٍ إلى تثبتٍ ، ذلك لأنّ الخطأ في دراسة كتاب الله - تعالى - ليس كالخطأ في دراسة غيره من الكتب . ثمّ إن كثيرًا من هذه المصادر مفتقرٌ إلى التحقيق العلمي ، وإلى الفهارس المُيَسّرة ، ولذا كان يكلّفنا الوقوف على صحة الرأي المنقول في كتابٍ واحدٍ مشقةً ليست باليسيرة . ويتمثل هذا العناء أيضًا في سكوت معظم المصادر والمراجع عن معالجة النظم القرآني في سورة البقرة، مما كان يحرم هذه الدراسة من سوابق نافعةٍ تُنيرُ لها درب الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــــــوع	الصفحـــــة
الخامسة : الكشف عن الغاية الحقيقية من وراء الحملات الموجهة إلى البلاغة العربية وإلى نظرية النظم وإلى النحو العربي	١٧٧ - ١٧٩
تشخيص النظم تشخيصًا يظهره وجهًا بارزًا من أشهر وأعم أوجه الإعجاز القرآني	١٧٩
توجيه الأنظار إلى التفكر والتأمل والبحث في هذا النظم العظيم	١٧٩ - ١٨٠
الخاتمة	١٨١ - ١٨٢
الفهارس وتشمل خمسة فهارس :	
١- فهرس المصادر والمراجع والمقالات والمحاضرات...	١٨٣ - ١٩٩
٢- فهرس الآيات القرآنية الكريمة وألوانها البلاغية	٢٠٠ - ٢٦٦
٣- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	٢٦٧
٤- الفهرس التاريخي لتطور مصطلح النظم	٢٦٨ - ٢٧٥
٥- فهرس الموضوعات	٢٧٦ - ٢٩٥
ملخص باللغة الإنجليزية	1 - 3

تم بحمد الله وتوفيقه الفراغ من طبع هذه الرسالة
في يوم الجمعة ٢١ شوال ١٤٠٦هـ الموافق
١٩٨٦/٦/٢٧
وقام بطبعها العبد الفقير إلى رحمة
ربه العلي القدير صالح أحمد
البوريني .
راجيًا عفو مولاه غفر الله له ولوالديه
ولصاحب هذه الرسالة ولوالديه ولشيخه المشرف
عليه الشيخ إبراهيم السامرائي وللشيخ فضل حسن عباس
بخاصة ولجميع المسلمين والمسلمات بعامة
آمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

In outline, the following Research, entitled "The Koranic Versification in Al-Baqara Surah", falls into an introduction, three chapters and a final conclusion, inclusive of the recommendations derived from it.

The Introduction presents the concept underlying the Research; the reasons for its choice; the layout of its thesis; the rationale of its title as seen in terms of the layout; the features of its written approach; its major sources and references; and a final extension of thankfulness to any help rendered towards its accomplishment.

The First Chapter, entitled "The History of Versification", expounds the following issues: The Definition of Versification, both linguistically and conventionally; The Defence of the Versifier against false accusations; The classification and Evaluation of Previous Studies on Versification: about 20 scholars before, and 20 after Jurjani ; Jurjani's contribution towards the Perfection of Versification; The Rise of the Science of Semantics therefrom; The Important Role Versification played in the establishment of the Insurpassabilty of the Koranic Verse Style. Having struck an exclusively independent course in my treatment of the Koranic Versification in Al-Baqara Surah, I arrived, among a number of conclusion, at the following most important inferences: namely, "Versification has been the outcome of the insight into the insurpassbility of the Koran; it has reached its culmination at the hands of Al-Jurjani; and it has eventually

٣٥١٢٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

developed into the Sicence of Semantics."

The Second Chapter of the Research, devoted to the intensive study of "The Components of the Koranic Versification in Al-Baqara Surah ", has accordingly entailed the examination of twelve styles in the Surah : Emphasis, Definitiveness and Non-Definitiveness; Forwarding and Backwarding; Ellipsis and Rhetorical Restriction; Imperative, Prohibition; Interrogation; Wish; Vocative; Asyndetion and Conjunction; and finally Repetition. The main conclusion arrived at under this second subject has pointed to: "The Great Wealth, the Great Interest, but also the Great Difficulty the study of the Koranic Versification carries".

The Third Chapter, entitled "Some Aspects of Verse Insurpassability in the Baqara Surah", has endeavoured to dwell on the following topics: The Analysis of the connotations of the Stylistics studied under Chapter Two; The Implications of such Stylistics upon the Totality of their Rhetorical Effect; The Analysis of the Impact of those same stylistics upon the Meanings that they give rise to; The Advantages of the study of the Koranic Versification in Al-Baqara Surah ; The Highlighting of this Versification as the most manifest and the most common aspect of the Koran's Insurpassability; and finally the Invitation to the Reflection, Meditation and Insightful Research into this Great Versification. The major conclusion arrived at under this Chapter underlines the accuracy of the Koranic Versification; stresses the benefits accruing from its study; commends the most magnificent meanings and the most elaborate structures it carries; and above all urges the necessity of getting interested

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit